من
مقامات الزهراء
في القرآن والسنة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
٢٩

مِنْ
مَقَامَاتِ الزَهْرَاء

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على النِّعَم والآلاء والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والأنبياء محمد المصطفى أبي الزهراء وعلى آله الطيبين الطاهرين النجباء وبعد .

لقد منّ الله علينا بمننه الكثيرة، الوافرة النازلة علينا في كل صباح ومساء، ومن أعظم هذه النعم والبركات هي نعمة الولاء ومحبة محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وكلما مرت علينا ذكرى استشهاد أحد من هذه الأنوار أحسسنا بأنه قد فُقد اليوم وليس قبل مئات السنين ولا نشعر ببعد الزمن الذي مر على وفاته، وإنما هذا الحزن وهذه الفجيعة تكون ذات طابع مؤلم ومؤثر خصوصا إذا ما عرفنا مكانة هذه الشخصية واستوعبنا عظمتها والتي غادرت هذا العالم، وكلما ازاداد الإنسان سعة في اطلاعه في أعماق شخصية من شخوص الأئمة الهداة صلوات الله عليهم زاد حبا لهم وحزنا وتأسفا على فراقهم وعلى ما لاقوه من ظلم وجور.

ومن خلال هذه القاعدة سنحاول تسليط بعض الضوء لما تسمح به عقولنا على شخصية لم يعرف لها التاريخ مثيلا ألا وهي شخصية الزهراء عليها السلام ومدى عمق هذه الشخصية ومقاماتها الرفيعة لدى الباري عز وجل مستمدين حقائق هذه المقامات

وارتباطها بالقرآن الكريم من خلال محاضرات ألقيت من قبل سماحة آية الله السيد كمال الحيدري دامت تأييداته وتقريرا لأبحاثه، وقد أضفنا عليها بما سمح به الموضوع من إضافات سائلين المولى الجليل أن يحشرنا مع محمد وآله الأطهار ومنه التوفيق والسداد.

توطئة

إن من هم أدوات المعرفة العقلية لدى الإنسان في معرفة موجود من الموجودات هو أن يكون متعرفا على أوصاف وأسماء ذلك الموجود وذلك لان الأسماء والصفات إنما تحكي عن حقيقة من حقائق ذلك الموجود، خاصة إذا كان الاسم أو الوصف قد أطلق عليه لوجود المناسبة بين الوصف والموصوف إذ أن الأسماء والصفات إنما تطلق على الموجودات على نحوين:

الأول: إن يكون الاسم والوصف قد أطلق على احد الموجودات من دون أي مناسبة بين الاسم والمسمى أو الوصف والموصوف وهذا حال أكثر أسماء الموجودات فإنها سميت بأسماء ووصفت بأوصاف ارتجالية من دون مناسبة كأسمائنا التي نتسمى بها فنجد هذا اسمه كريم وهو ليس بذلك وهذا اسمه صابر وهو ليس كذلك وهكذا.

الثاني: هو أن يكون هناك مناسبة بين المسمى والاسم أو الوصف والموصوف وذلك لكون من أطلق هذا الاسم أو الوصف هو عالم بوجود تلك المناسبة أو الصفة في الموجود وهذا هو الوصف الحقيقي للموصوف ومثال ذلك أن الأسماء والصفات التي يوصف بها الباري عز وجل كوصفه بالعالم والقادر والرحيم فان أسماءه وصفاته عز وجل هي ليست من الصفات التي تجعله كالنوع الأول وإنما هي صفات حقيقية ليست اعتبارية قال تعالى ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ

أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾[1] ومن هنا يظهر تأكيد القران الكريم على هذه المسالة من انه ركز على إيراد الكثير من أسمائه وصفاته عز وجل قال تعالى ﴿هوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [2] فان إيراد هذه الأسماء الشريفة للباري عز وجل لم ترد في كتاب الله عز وجل جزافا أو هي من قبيل التفاخر أبدا وإنما جاءت لتوضيح هذا الحقائق والمعاني الموجودة في ذات الباري عز وجل .

فإذا تبيّن هذا، نقول انه قد وردت أوصاف وأسماء في حق المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين ونخص بالذكر بضعة رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام موضوع هذا البحث الذي انعقد باسمها صلوات ربي وتحياته عليها، فالسؤال الذي يُطرح هو: هل الأسماء و الكنى والألقاب والصفات التي وردت في حقها سلام الله عليها جاءت من النوع الأول أم الثاني (كالصديقة والمحدثة والبضعة والزهراء وأم أبيها وفاطمة ومريم الكبرى).

وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف أولا أن مسالة هذه الصفات والأسماء قد أطلقت من الله عز وجل في توصيف هؤلاء المعصومين سلام الله عليهم أجمعين وبالخصوص فاطمة الزهراء عليها السلام فاسمها هذا هو الذي اشتهرت به قد سماها به رسول

(١) الإسراء الآية ٠١١

(٢) الحشر : الآية ٣٢

الله ﷺ وبالطبع فان هذا الاسم لم يطلقه النبي الأعظم هكذا جزافا من دون أمر إلهي ورباني في توصيف وتسمية هذا الوجود الشريف كما سيأتينا في مطاوي هذا البحث، فإذا تبين إن أسماء وألقاب وصفات هؤلاء المعصومين من الله عز وجل وأنها لم تطلق جزافا بل جاءت تبعا لعلم الله عز وجل بأشرفية هذه الموجودات و نورانيتها وما هي عليه من الحقائق.

فسيكون بحثنا هذا منقسم إلى عدة أبواب لكل باب يكون مقاما من مقامات الزهراء عليها السلام وهذه المقامات ستكون مستوحاة من أسمائها وصفاتها الشريفة سلام الله عليها اعتمادا على علاقة الاسم بالمسمى وما ينطوي تحته من أسرار و منازل ودرجات ومنه السداد والتوفيق.

الزهراء هي الصديقة الكبرى

(قالت فاطمة لعلي عليه السلام اعلم يا أبا الحسن إن الله خلق نوري وكان يسبح الله جل جلاله ثم أودعه بشجرة من شجرة ا لجنة فأضاءت فلما دخل أبي ا لجنة أومأ الله إليه إلهاما أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها لهواتك ففعل فأودعني الله سبحانه صلب أبي ثم أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني وأنا من ذلك النور)[1]

قبل الدخول في هذا المقام الشريف للزهراء عليها السلام لا بد من توضيح هذه النكتة وهي انه لا طريق لمعرفة مقامات الزهراء عليها السلام إلا عن طريق أسمائها وصفاتها وذلك لكون أن هذه الأسماء والصفات هي من الله تعالى والله هو اعلم من كل موجود فيم يطلق على موجوداته من أسماء وصفات بل إن معرفة الأسماء والصفات لا تكون ألا على طريق المسمي لتلك الأسماء قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] فمن خلال هذه الآية نفهم أن معرفة الموجودات وأسمائها وصفاتها لا تكون ألا عن طريق إلهي رباني، يأذن فيه لعبدٍ من عباده كي يعلمها، هذا من جهة ومن جهة أخرى هي أن أسماء المعصومين لها تعلق ذاتي بينها وبين وجودهم لأنها أطلقت من الله عز وجل.

(١) ١ اللمعة البيضاء – للتبريزي الأنصاري ص ٦١١ / البحار ج٣٤ ص٤ ح٣ .
(٢) البقرة الآية ١٣

وهنا يأتي سؤال جوابه يفيدنا في هذا البحث، وهو لماذا نجد أن المعصومين عليهم السلام ومنهم فاطمة الزهراء، لديهم أسماء وصفات كثيرة ولم يكتفِ الباري عز وجل بإطلاق اسم واحد أو صفة واحدة عليهم؟

وا لجواب بصورة مختصرة وبسيطة هو أن كل موجود إذا كان في مرتبة من مراتب الكمال والشرف كان له اسما مختصا به في تلك المرتبة أو المنزلة فتكثر أسماؤه لعظم مكانة الموجود وسموّه في مراتب التكامل الإنساني باتجاه القرب الإلهي، وهذا نجده واضحا في حياتنا اليومية فنجد أن الموجود إذا كان متدنياً وبسيطاً فانه لا يستحق إلا اسماً واحداً أو اسمين، أما إذا كان سباقا في احتلال مراتب الشرف والتكامل نجده كلما حصل على مرتبة وتكامل بها كان مستحقا لاسم جديد وصفة تضاف إلى باقي صفاته، وأقرب مثال على ذلك هو المقارنة بين الإنسان الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وبين الإنسان المتعلم الذي لا يفتأ أن يكمل مرحلة دراسية إلا وانتقل إلى التي بعدها فنجد أن الأمي ليس له إلا صفة واحدة فقط بينما نجد أن الثاني قد حاز عدة أسماء وصفات كالأستاذ والباحث والدكتور وغيرها من الألقاب والأسماء، فنجد أن هذه الأسماء والألقاب جاءته لا عن طريق الصدفة بل لحيازته مراتب التكامل واجتياز المراحل العلمية بجدارة وهكذا.

نأتي ألان إلى المقام الأول للزهراء عليها السلام وهو الصديقة الكبرى

وقبل أن نلج في صلب هذا المقام لا بد لنا أولا من معرفة معنى الصِدِّيق أو الصِدِّيقة واهم مصدر يبين لنا معنى هذا الاسم واللقب هو القرآن الكريم.

قال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1] وقال تعالى ﴿واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[2] وقال تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [3] حيث نفهم من هذه الآيات الثلاث أن منزلة الصدّيق منزلة رفيعة تقترن بالأنبياء دائما وقد وصف الله أنبياءه بالصدّيقين ما يعني أن منزلة الصدّيق هي منزلة عالية وهي من مقامات التكامل الإنساني، ولكن هنا يأتي هذا السؤال وهو هل أن مقام الصديق مختص بالأنبياء والرسل فقط ام بالإمكان أن يكون هناك شخص من هو صدّيق وهو ليس نبيا ولا رسولا ؟

الجواب وبصورة مختصرة تبينها لنا هذه الآية الشريفة قال تعال ﴿ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[4] فهذه الآية تبين بشكل واضح أن مقام الصديق ليس

(١) النساء الآية ٩٦
(٢) مريم الآية ١٤
(٣) مريم الآية ٦٥
(٤) المائدة ٥٧

محصورا بالأنبياء والرسل إذ وصفت هذه الآية الشريفة مريم سلام الله عليها بأنها صديقة مع أنها لم تكن نبيا ولا رسولا وقال تعالى في سورة آل عمران توضيحا لهذا المقام الشريف حين قال ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾[1] من خلال هذه الآية الشريفة نفهم ما هي مميزات مقام الصديقة كمريم وهي أنها كانت مصطفاة ومطهرة ومصطفاة على نساء العالمين فنفهم من هذه الدرجات كانت بجموعها تمثل وصول مريم عليها السلام الى مقام الصديقة.

بقي هنا أن نقارن بين هذه الدرجات التي حازتها مريم من التطهير والاصطفاء وبين الزهراء عليها السلام في انها هل حازت أيضا هذه الدرجات التكاملية أم لا:

فاطمة مطهرة من الرجس

أن من أوضح الأدلة التي تبين لنا هذه المنازل والدرجات هي قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] فان فاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله هي من الداخلين في أهل البيت عليهم السلام بل كانت هي المحور الرابط بين النبوة والإمامة حين قال الباري عز وجل لجبرائيل الأمين

(١) آل عمران الآية ٢٤.

(٢) الأحزاب – ٣٣

حين سأله من هم تحت الكساء فقال الباري: (هي فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها)[1] فنفهم من هذه الكلمة أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت هي الرابط بين ثقل النبوة وثقل الامامة .

وهذه هي إحدى أسرارها عليها السلام، أما مسألة دخولها ضمن آية التطهير فإنها مسألة قد أجمع عليها كبار علماء المسلمين والمفسرين بلا خلاف[2] فالزهراء هي مطهرة حالها حال مريم عليها السلام، لكن بقي أن نعرف هل أن مفردة التطهير الواردة في التعبير القرآني ذات مستوى واحد ينطبق على الكل أم انه يختلف صعودا أو نقصا أو كمالا من شخص إلى آخر وإن كان كلاهما مطهرين؟ ا لجواب ينحصر أيضا في نفس الآيات الشريفة التي نصّت على التطهير لكلا السيدتين الزهراء ومريم.

فحين عبّر عن التطهير لمريم قال (وَطهّركِ) بصفة الفعل الماضي أي أن مسالة التطهير قد تمت وانتهت بالنسبة لمريم عليها السلام أما حين عبّر عن التطهير لأهل البيت ومن ضمنهم الزهراء فقد ورد التعبير القرآني (ويطهركم) بصفة المضارع الدالة على الاستمرار والزيادة ولا انتهاء أو توقف لهذا التطهير، هذه هي ا لجهة الأولى في أفضيلة تطهير الزهراء على مريم، أما ا لجهة الثانية فهي الزيادة في التطهير بنص الآية حين قال عن الأئمة (ويطهركم تطهيرا) فأردف بمفردة (ويطهركم) بـ (تطهيرا) وهي

(١) مفاتيح الجنان / حديث الكساء

(٢) نفيس المنار وتفسير الفخر الرازي

مفعـول مطلق يفيد التأكيد للتطهـير الذي تحدث عنه في نفس الآيـة وهذه الزيـادة والتأكيـد في تطهير أهل البيـت لم تكن بحق مريم عليها السلام.

أمـا الجهة الثالثة فهي ورود لفظة إذهاب الرجس قبل التطهير والرجس معناه الشـيء القذر سـواء كان نجسـا وقـذرا من ناحية طباع الإنسـان أو ما يسـتقذره العقل في أحكامه أو ما قذّره الشرع ونجّسـه[1] وهذه النجاسـات والقذارات سواء كانت روحية أم مادية أو كليهمـا فإنهـا قـد أذهبهـا الله عنهـم وفاطمـة مـن الداخلين معهـم في هـذا الشـرف وهـذه المنزلة، ولكـن حين نأتـي إلى مقام مريـم عليها السلام نجـد ان المنطوق القرآني لم يعبر عنها بان الرجس قد أذهـب عنها، فبمجموع هذه الجهـات الثلاث التي ذكرناها نجد أن تطهـير الزهراء عليها السلام كان أوسـع وأدق واشمل وبالتالي أعلى منزلة في التطهـير إذا مـا قورن بتطهـير مريم عليها السلام ومن هنـا نفهم ذلك الوصـف الذي أطلق على فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها مريم الكبرى علـى لسـان الخاتم رسـول الله صلى الله عليه وآله حين قـال: (يا أبا الحسـن هذه وديعـة الله ووديعة رسـوله محمد عنـدك فاحفظ الله و احفظني فيهـا وإنـك لفاعله، ياعلي هذه والله سـيدة نسـاء أهل الجنة من الأولين والآخرين هذه والله مريم الكبرى أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضوع حتى سألت الله لها ولكم، فأعطاني ما سألته)[2].

---

(١) لتفسير الأمثل ناصر مكارم الشيرازي ح٣١ ص ٧٣٢

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص٤٨٤ / ج٣٤ ص٦١

فاطمة المُحَدَّثَة

ورد في القران الكريم ان السيدة مريم عليها السلام كانت مُحَدّثَة أي تحدثها الملائكة قال تعالى ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1] وقال تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ﴾[2] فمن خلال هاتين الآيتين الشريفتين نجد أن مريم عليها السلام كانت تُحَدّث وتخاطب مباشرة من قبل الملائكة بنص الآيتين الشريفتين بل ان النوبة وصلت إلى إن يكلمها جبرائيل سيد الملائكة عليه السلام مع انه كان مختصا في تأدية التبليغ الإلهي في الشرائع إلى الأنبياء والمرسلين، رغم ذلك فانه أرسل إلى مريم ليهب لها ابنها عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا – قال إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[3] .

فهذا البيان القرآني يبين هذه الحقيقة وهذا الشرف لمريم عليها السلام وهذا الشرف وهذه المنزلة كانت أيضا للزهراء عليها السلام في أنها كانت تحدثها الملائكة وتتكلم معها فقد ورد في الحديث الشريف بيان هذا المقام وهذه المنزلة عن الإمام الصادق عليه السلام حين قال (عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنما سميت فاطمة محدثة لان الملائكة كانت

---

(١) آل عمران الآية ٣٤

(٢) آل عمران الآية

(٣) مريم الآية ٧١-٩١

تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين فتحدثهم ويحدثونها، فقالت ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران ؟ فقالوا إن مريم كانت سيدة نساء عالمها وان الله عز وجل جعلك سيدة نساء عالمك وسيدة نساء الأولين والآخرين)[1] فهذه الرواية الشريفة الصادرة من بيت العصمة صلوات الله عليهم على لسان الصادق عليه السلام تثبت هذا الشرف وهذه المنزلة للزهراء عليها السلام والروايات الواردة في هذا المضمون كثير ومتواترة.

فاطمة المصطفاة

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾[2] يفهم من هذه الآية أن مريم بنت عمران كانت مصطفاة أولا ثم كانت مصطفاة على نساء العالمين وهذا الاصطفاء ثابت في حقها، وإن من أقرب المعاني للاصطفاء هي اخذ صفوة الشيء.

قبل الدخول في بحث الاصطفاء لمريم وما هو هذا الاصطفاء يجب أن نعرف معنى الاصطفاء لغة، فهو يعني أن الله اخذ صفوة

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٦٠٢

(٢) آل عمران الآية – ٢٤

الأشياء او الموجودات واصطفاها لنفسه وكلفها بتكاليف خاصة لم يكلف بها الآخرين، قال تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١) وقال تعالى ﴿قلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢) حيث يمكن أن نستشف من هاتين الآيتين ما يأتي:-

الأول : أن الاصطفاء من الله عز وجل وليس بيد الإنسان أن يكون من المصطفين.

الثاني : أن الاصطفاء غير مختص بالأنبياء والرسل فقط بل هو شامل كل من اراد الله ان يصطفيه.

الثالث : ليس بالضرورة أن كل الأنبياء والرسل مصطفون فالبعض منهم ليسوا كذلك.

السؤال هنا هل كانت فاطمة الزهراء عليها السلام من المصطفين ام لا وللجواب عن هذا السؤال نقول أن ا لجواب ينقسم إلى شقين الأول قراني والثاني روائي:

أما القرآني فان الآية الشريفة واضحة في تحديد المصطفين الذين اصطفاهم الله عز وجل فقال عز من قائل:(آل إبراهيم) وآل إبراهيم كانوا من ضمن المصطفين ومن الثابت ان رسول

(١) آل عمران – ٣٣
(٢) النمل الآية ٩٥

الله ﷺ هو سيد ولد إبراهيم. والزهراء هي بضعة رسول الله فبالتالي تكون هي من المصطفين باعتبارها داخلة في آل إبراهيم وهو اعتبار البضعية من رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين .

اما الروايات الواردة التي صرحت في أن الزهراء مصطفاة فهي كثيرة ومتواترة ونكتفي بإيراد رواية واحدة توضح لها هذه المنزلة، فقد ورد في الرواية الشريفة الواردة عن رسول الله ﷺ في تعداد فضائل أمير المؤمنين والزهراء نأخذ منها محل الشاهد فقط (بالإسناد إلى الصدوق عن الهمداني عن علي بن إبراهيم عن جعفر بن سلمة عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن إبراهيم بن موسى ابن اخت الواقدي عن أبي قتادة الحراني عن عبد الرحمن بن علاء الحضرمي عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : ان رسول الله ﷺ كان جالسا يوما وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ... وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادوها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون يا فاطمة أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) [1]

من خلال هذين ا لجانبين القرآني والروائي يثبت هذا الشرف وهذه المنزلة لفاطمة الزهراء عليها السلام في أنها كانت مصطفاة وسيأتي التفصيل في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى، إلى هنا يثبت عندنا

(١) بحار الأنوار ج٧٣- ص٥٨ .

أن مريم كان مطهرة ومصطفاة ومحدثة وهذه المنازل والمراتب كانت هي العلة والسبب في كونها صديقة التي أثبتها القران الكريم، وقد أثبتنا من خلال هذه الكلمات السابقة في ثبوت هذه المنازل والمراتب للزهراء عليها السلام من انها مطهرة ومحدثة ومصطفاة فيثبت أنها كانت صديقة أيضا.

بقي ان نؤيد بالدليل الروائي الذي يثبت هذا المقام للزهراء وهي كونها صديقة نذكر هذه الرواية الشريفة الواردة من ثغر الخاتم صلى الله عليه وآله وفي وصف فضائل أهل بيته عليهم السلام حيث نختار منها موضع الشاهد: (عن أمالي الصدوق عن ماجيلويه عن عمه عن محمد بن علي الكوفي عن محمد بن سنان عن المفضل عن جابر بن يزيد عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال النبي أن الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولا ... فجعل الله لي علياً وزيراً وأخاً وجعل الشجاعة في قلبه وألبسه الهيبة على عدوه، وهو أول من آمن بي وصدقني، وأول من وحّد الله معي، واني سألت ذلك ربي عز وجل فأعطانيه، فهو سيد الأوصياء، اللحوق به سعادة والموت في طاعته شهادة، واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي وزوجته الصديقة الكبرى ابنتي وابناه سيدا شباب أهل الجنة ابناي)[1] حيث نجد من خلال هذه الرواية الشريفة من أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد اثبت ان الزهراء هي الصديقة ولكن في ثبوت أنها الصديقة الكبرى لم يثبت إلى

(١) بحار الأنوار ج ٨٣ ص٢٩ .

الآن من خلال الدليل، بل يكون هو الخطوة القادمة من أنها هي الصدّيقة الكبرى وسيدة نساء العالمين.

الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين

رُبّ سائل يسأل هل أن الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين أم مريم وان كانت الزهراء فكيف يمكننا أن نتبنى هذا الرأي ونحن نقرأ في القرآن الكريم أن مريم قد فضلها الله تعالى واصطفاها على نساء العالمين.

للرد على هذا السؤال لا بد من استعراض بعض الآيات القرآنية التي تثبت مسألة التفضيل، منها قوله تعالى ﴿يابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] وقوله تعالى في آية أخرى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2] وقوله تعالى نقلا عن موسى مخاطبا قومه ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4] هذه الآيات وغيرها تنص على أن بني اسرائل كانوا مختارين ومفضلين على العالمين بنص هذه الآيات الشريفة فالسؤال هنا هو هل ان بني اسرائيل

---

(١) البقرة الآية ٧٤ .

(٢) البقرة الآية ٢٢١ .

(٣) الأعراف الآية ٠٤١ .

(٤) الدخان الآية ٢٣ .

كانوا مفضلين على العالمين بكل الجهات والمستويات أم لا ؟

من خلال هذه الآيات نصل إلى حقيقة قرآنية وهي أن التفضيل يكون على نوعين:

الأول : الأفضلية تكون بشيء واحد فيكون تفضيلا خاصا من جهة خاصة.

الثاني : الأفضلية تكون بكل شيء فيكون تفضيلا عاما من كل الجهات.

فإذا تبين هذا التقسيم نقول بالنسبة إلى بني إسرائيل فإنهم قد فضلوا على العالمين من النوع الأول وهو التفضيل الخاص وليس تفضيلا عاما بكل شيء والدليل على ذلك هو قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) فهذه الآية واضحة في الدلالة على أن أمة النبي محمد ﷺ هم أفضل أمة أخرجت للناس لارتباطها المباشر بأفضل خلق الله تعالى وهو الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ، فإذا كان بنو إسرائيل مفضلين على العالمين من جهة واحدة وهي كثرة بعثة الأنبياء فيهم وكذلك كثرة المعاجز التي وقعت لهم، ولكن مع ذلك قال عنهم تعالى أكثرهم فاسقون وقليل منهم المؤمنون بينما

(١) آل عمران الآية ١١٠ .

أمـة محمد كانوا مفضلـين على كل العالمين من كل الجهات بنص هـذه الآيـة الآنفة الذكر، نجد ان الآيـة التي تحدثنا عن اصطفاء مريـم على نسـاء العالمين لم تكن عامة ومـن جميع الجهات وإنما كانـت مصطفـاة مختارة من جهـة واحدة وهي كونها أمّاً لعيسـى عليه السلام من دون فحل أو ذكر كسـائر النسـاء اللواتي يلدن، فهي كانت مفضلـة ومصطفـاة من هذه الجهة فقط على نسـاء العالمين أي أن الله تعـالى قـد اختارهـا لتكون آيـة في ولادة النبي عيسـى عليه السلام والدليل على ذلك هو انه قد ذكرت جهة التفضيل هذه وهي كونها أما لعيسـى عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْـرَانَ الَّتِي أَحْصَنَـتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَـا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَـا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِـنَ الْقَانِتِينَ﴾[2] فنفهم من خـلال هاتين الآيتين أن مريـم ابنة عمران كانت مفضلة على نسـاء العالمين ومصطفاة من هذه الجهة وليس بكل جهات الكمال والتكامل والقرب الإلهي ويزيـد هـذا المعنى ما ورد في رواية شـريفة عن الإمام الصادق عليه السلام في توضيـح هذا الاسـم وهـذا التفضيل(عن الحسـن بن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام ... وإذ قالت الملائكـة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نسـاء العالمـين قال [الإمام الصادق]: أمـا الأولى فاصطفاها أي اختارها وأمـا الثانيـة فإنها حملت مـن غير فحل فاصطفاهـا بذلك على

(١) الأنبياء الآية – ١٩ .

(٢) التحريم الآية – ٢١ .

نساء العالمين)[1] فالحديث واضح في مسألة التفضيل والاصطفاء على نساء العالمين كانت من خلال هذه الجهة فقط وليس من كل الجهات .

نقل في كتاب «ذخائر العقبى ص٤٤» عن ابن عباس أن الرسول الكريم قال:«أربع نسوة سيدات سادات عالمهنَّ: مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و أفضلهن فاطمة »[2]

بينما نجد أن فاطمة الزهراء عليها السلام قد وردت الروايات الكثيرة في حقها عليها السلام بأنها مفضلة على نساء العالمين بل هي سيدة نساء العالمين بكل الكمالات التي كانت عندها وقد نقلنا الرواية التي وردت عنها سلام الله عليها حين سألت الملائكة من أن مريم أليست هي سيدة نساء العالمين فإجابتها الملائكة من ان مريم هي سيدة عالمها وأنت سيدة عالمك وعالمها بل كل العوالم التي خلقها الله تعالى وأوضح برهان ودليل على هذا الكلام هو كونها بضعة الخاتم صلوات الله عليه وسيد البشرية والأنبياء والمرسلين انظر كيف أوضح هذا المعنى صاحب تفسير روح المعاني الالوسي حين قال (والذي أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث أنها بضعة رسول الله صلى الله

(١) بحار الأنوار – ج٤١ ص٠٠٢

(٢) وأيضاً السيوطى في «الدر المنثور» ذكر هذا الحديث في أسفل آية ٢٤ من سورة آل عمران.

تعالى عليه وسلم بل ومن حيثيات أُخَر أيضا ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة لجواز أن يراد بها أفضلية غيرها عليها من بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات وبه يجمع بين الآثار وهذا سائغ على القول بنبوة مريم أيضا إذ البضعية من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء وأين الثريا من يد المتناول ومن هنا يعلم أفضليتها على عائشة)

أو حين وصل إلى المقارنة بين الزهراء ونساء النبي ومنهم عائشة قال: قصارى ما في الحديث الأول(خذوا ثلثي دينكم من عائشة) على تقدير ثبوته إثبات انها عالمه إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدين وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعته عليه الصلاة السلام ولعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أنها لا تبقى بعده زمنا معتدا به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك ولو علم لربما قال : خذوا كل دينكم عن الزهراء وعدم هذا القول في حق من دل العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليته وإلا لكانت عائشة أفضل من أبيها لأنه لم يرو عنه في الدين إلا قليل لقلة لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن قوله عليه الصلاة و السلام : إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي لا يفترقان حتى يردا على الحوض يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى كيف لا وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيدة تلك العترة)[1].

(١) روح المعاني للألوسي:ج٣/ص١٥٥.

و نقرأ في حديث آخر للرسول حين اعتل علة الموت عندما شاهد قلق و اضطراب فاطمة انه قال ﷺ: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء هذه الامة، و سيدة نساء المؤمنين»[1].

في معنى أنها سيدة نساء العالمين

إن لمعنى السيادة في اللغة معانٍ كثيرة تعني ا لجاه الاجتماعي والشأنية الاجتماعية بين القوم وهذا المعنى يستعمل كثيرا ما بين الناس، وهناك نوع ثانٍ لمعنى السيادة وهو المعنى الذي يستعمل دائما في ما يقابل العوام فنقول هذا عامي وهذا سيد، يقول الراغب في مفرداته: (السيد هو المتولي للسواد أي ا لجماعة الكبيرة فيسمى سيد القوم، ولما كان من شروط المتولي للجماعة ان يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلا في نفسه انه سيد) هذا من حيث اللغة أما بالنسبة للقران فقد وردت أيضا لفظة سيد في قوله تعالى ﴿أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2] وقال صاحب الميزان (والسيد هو الذي يتولى سواد الناس وجماعتهم في أمر حياتهم أو في فضيلة من الفضائل المحمودة عندهم ثم غلب استعماله في شريف القوم لما ان التولي المذكور يستلزم شرفا بالحكم أو المال أو فضيلة

(١) مستدرك الصحيحين، ج٣،ص٦٥١، كما صرح بصحة سند هذا الحديث.
(٢) آل عمران – ٩٣

أخرى)[1]. فمن هذا الكلام نستطيع الخروج بهذه النتيجة وهي أن كل من كان جامعا لفضيلة أو لفضائل فهو سيد، فمعنى أنها سيدة نساء العالمين أي ان كل فضيلة كانت عند النساء المؤمنات على مدى الدهور فإن الزهراء سلام الله عليها تملكها ولها هذه الفضيلة بل وأعلى درجات الفضائل والكمالات تكون عندها.

هل أن الزهراء تملك الفضائل والكمالات عند الرجال أم لا ؟

هذا السؤال قد يرد بعد أن أثبتنا أن الزهراء هي سيدة نساء العالمين وعرفنا معنى السيادة التي عندها، فهل هذه السيادة تكون أيضا بالنسبة للرجال من المؤمنين أم لا؟ وللرد على مثل هذا السؤال يجب أن نلاحظ المنطوق القرآني الذي تناول هذا الأمر.

قال تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2] فزوجة فرعون كانت امرأة ومع ذلك كانت مضربا للأمثال خاطب الله الذين امنوا من الرجال والنساء في أنها كانت مثلا لهم ويجب أن تكون لهم مثل هذه الفضائل والكمالات وعليه فمن كان له كمالات سواء كان ذكرا أم أنثى فإن له أفضلية على

(١) تفسير الميزان –ج٣ ص٧٧١

(٢) ٣- التحرير الآية ١١

الجميع من الرجال والنساء أجمعين، بل إن الخطاب القرآني دائما يرد فيه (يا أيها الذين امنوا) وهذا الخطاب يكون شاملا لكل الرجال والنساء من دون استثناء وهكذا فإن صفات الزهراء وفضائلها كانت متقدمة بها وسيدة بالنسبة للرجال والنساء معا والمنطوق القرآني قد اثبت هذه (الحقيقة) كما أسلفنا ومن هنا نعلم أن كفؤها لا يكون إلا هو الصديق الأكبر علي بن أبي طالب عليه السلام قال الصادق عليه السلام: (لو لا أن أمير المؤمنين تزوجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجهِ الأرض، آدم فمن دونه)[1] لان الرجال والأصحاب الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن فيهم من هو كفؤ للزهراء فكان أمر تزويجها من الله عز وجل ولم يكن حتى بأمر من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لأن الباري عز وجل هو أعلم بخفاء الصدور وحقائق القلوب ومن له درجات رفيعة ومن الذي يكون كفؤا للزهراء قال تعالى ﴿مِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[2].

وهذا ما دلت عليه الروايات المتضافرة من كلا الفريقين في امر تزويجها عليها السلام من أمير المؤمنين حيث جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: (فأوحى الله إليّ أن قد ولد لك حوراء إنسية فزوج النور من النور : النور فاطمة من نور علي فإني قد زوجتها في السماء...)[3]

---

(١) الإبحار ج٣٤ ص١١

(٢) البقرة الآية ٢٠٤

(٣) بحار الأنوار ج ٦٣ ص٢٦٣

معنى أن الزهراء مُحَدَّثة

لفظة المحدّثَة هي اسم مفعول مشتق من الحديث وقد ورد لفظ المحدثة في وصف الزهراء عليها السلام وعلى لسان أبيها سيد الأنبياء والمرسلين غير مرة كما أوردناه في مقدمة البحث ومن تلك الأحاديث هو هذا الحديث الوارد عن الصادق عليه السلام (لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدثة والزهراء)[1] فما معنى هذا الوصف الذي وصفه الله تعالى لهذه المخلوقة المقدسة النورانية؟

من المعروف أن مسألة التحديث أو الحديث هي تعني محادثة الملائكة أو جبرائيل لشخص من الأشخاص فيسمى كل من حدثته الملائكة بأنه محدَّث وقد أثبتنا في مطاوي هذا البحث بان مسالة التحديث ليس أمرا مختصا بالأنبياء والرسل فحسب وإنما قد تشمل أناس من ليسوا كذلك، ولكن لهم درجة من درجات القرب الإلهي والكرامة الإلهية ومقامات رفيعة كمريم وأم موسى والزهراء سلام الله عليهم أجمعين، بل إن الزهراء امتازت بهذه الصفة أكثر من السيدتين الأوليتين وذلك من خلال أن محادثة الملائكة للسيدتين الطاهرتين أم موسى ومريم كانت مقتصرة على أمر يراد به التبليغ لمسألة أو أمر ما، بينما نجد أن الزهراء

(١) بحار الأنوار ج ٣٤ ص١١ .

قد كانت الملائكة تحدثها دوما، ليس في أمر خاص فقط، بل على العكس.

ويبقى شيء واحد نود توضيحه في هذه الأسطر وهو بأي أمر كانت تحدثها الملائكة وتتكلم معها ؟ إن هذا الأمر هو من الأمور الخاصة جدا في حياة الزهراء عليها السلام ولا يمكن لرأي احد من الناس أن يعرف بماذا كانت تتحدث به الملائكة معها إلا إذا تم التصريح منها سلام الله عليها أو على لسان احد أولادها.

مصحف فاطمة

(عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن حماد بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام [الصادق] يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرون ومائة وذلك إني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام قال : قلت وما مصحف فاطمة ؟ قال : إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : إذا أحست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى اثبت من ذلك مصحفا قال : ثم قال أما انه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون)[1] فالذي يظهر من هذه الرواية أن الملائكة

(١) الكافي – الأصول ج١ ص١٤٢ .

كانت تحدثها بعلم ما يكون على امة محمد وذريتها سلام الله عليهم أجمعين، وتوضح الرواية الآتية من هو ذلك المَلك الذي أرسل لفاطمة صلوات الله عليها . (محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن أبي محبوب عن ابن رئاب عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله (الصادق) قال : إنَّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعون يوما وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام[1].

ومن خلال هاتين الروايتين يتوضح لنا أن الملائكة ليست وحدها كانت تحدث الزهراء عليها السلام وإنما حتى سيد الملائكة وهو جبرائيل كان ينزل ليحدثها ويؤنس وحشتها (وحزنها) على أبيها صلوات الله عليه والملفت للنظر في هاتين الروايتين أن علي عليه السلام كان يكتب إملاء الزهراء عن طريق الملائكة وجبرائيل فمثلما كان يفعل مع أخيه وحبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذن مصحف فاطمة لم يكن قرآنا ثانيا أو محرّفا عن كتاب الله كما أوهم به بعض أعداء أهل البيت وإنما هو مصحف دوّن فيه حديث الملائكة وجبرائيل على ما مر بنا من الروايات في إخبار ما يكون من الأمور الغيبة وهذه الرواية الثالثة توضح أين أصبح

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص٧٤٥ / أصول الكافي ج١ ص١٤٢

هـذا المصحف (قلت جعلـت فداك فلمن صار ذلـك المصحف بعد مضيها؟ قال دفعته إلى أمير المؤمنين فلما مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم عند أهله حتى يدفعوه الى صاحب هذا الأمر)[1] فبعـد هـذا الكلام لا يبقـى حجة لمحتج في اتهام أتبـاع أهل البيت سـلام الله عليهـم بأنهـم يعتقـدون بتحريف القـرآن وانه لديهم مصحـف فاطمـة يقرؤون به فهذا كله محض التهريج والتشـنيع بلا دليل ولا حجة.

لماذا كانت الزهراء عليها السلام فقط مَن تسمع حديث الملائكة؟

بقـي هناك أمر في مسـألة مقام الزهـراء عليها السلام بأنها محدثة وهو أنـه إذا كانـت الزهراء محدثة فلم لم يسـمع بهـذا الحديث باقي الناس وكانت هي وحدها التي تسمع حديث الملائكة فقط؟

وللرد على مثل هذا الإشكال لا بد من تقديم مقدمة سريعة وهي إنَّ السـمع يقع على نحوين السمع الظاهري وهو ما يسمعه أكثر النـاس والحيوانات وهنـاك سمع أخر وهو السـمع الباطني الذي لا يكـون بالأذن الظاهريـة وإنما بالقلب كقوله تعـالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2] وقوله تعالى (إِنَّ شَـرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)[3] فهاتان

(١) مستدرك سفينة البحار ج٦ – ص٩٢

(٢) يونس الآية ٢٤

(٣) الأنفال الآية ٢٢

الآيتـان توضحان هذه الحقيقـة القرآنية ففي الآية الأولى تصف الكافرين بأنهم لا يسمعون مع أنها وصفتهم ابتداءً أنهم يستمعون فإذا كان سمعهم الظاهري سليم بنص ظاهر الآية فانهم لم يكونوا يسـمعون بقلوبهم فلا يؤمنوا، أما الآية الثانية فتتحدث عن شـرّ الدواب فإذا كانت هذه الدواب قد خلقت وهي صماء فلا داعي لان يصفها الله تعالى بأنها شرّ، بل هي دوابّ كان لها سمع ظاهري ولم يكن لها سمع باطني يدخل إلى قلبها الإيمان، ولتأكيد هذا الكلام نجـد أن كلا الآيتـين قد ختمتا بكلمة (لا يعقلون) إشـارة منه عز وجـل إلى ان المسـألة تتعلق بالعقل والإيمان، لا بالسـمع المحض، فإذا تبين هذا نقول في كلام الملائكة لم يكن بشـكل صوت مسـموع لكل الناس وإنما يكون مخصصا لشخص ما، يسمعه بأذن القلب كمـا يرى الحقيقة بعـين القلب والبصيرة لا بعـين البصر والمادة، قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِـي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُـوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْـمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَـى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] بل أن الشـواهد الروائية كثيرة في أن رسـول الله ﷺ عندما يكون جالساً بين أصحابه فإذا به يخبرهم الآن كان عندي أخـي جبرائيـل وقد أخبرني بكذا وكذا . وهكذا بالنسـبة لفاطمة المحدثة فإنها كانت تحدثها الملائكة حديثا روحانيا لا يسـمعه أي احد بل هو خاص لها سلام الله عليها .

(١) الحج الآية ٦٤

الخاتمة

من خلال ما استعرضناه من القبسات المضيئة لمقامات الزهراء(عليها السلام) نفهم أن هذا الموجود المقدس والمخلوق المعظم لم تكن سلام الله عليها ذات سلوك خارجي يظهر عليها هذه المكانة التي تحتلها لدى الخالق عز وجل، ولعلوّ مكانتها لدى الله سبحانه وتعالى فإننا نجد ذلك واضحاً في سورة الدهر (الإنسان) النازلة في حقهم سلام الله عليهم أجمعين، فبالرغم من ذكر أوصاف النعيم وا لجنان المعدة لهم وأصناف النِّعَم، لم يُذكر فيها (أي في سورة الإنسان) الحور العين كما جرت العادة في ذكرها مع مجمل نعيم ا لجنة وذلك احتراما وتعظيما للزهراء.

(واعلم انه تعالى لم يذكر فيما ذكر من نعيم ا لجنة في هذه الآيات نساء ا لجنة من الحور العين وهي من أهم ما يذكره عند وصف نعم ا لجنة في سائر كلامه ويمكن أن يستظهر منه انه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات من هي من النساء، وقال (الالوسي) في روح المعاني : ومن اللطائف على القول بنزول السورة فيهم يعني أهل البيت انه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين وإنما صرح عز وجل بولدان مخلدين رعاية لحرمة البتول وقرة عين الرسول) [1] فبالرغم من هذه المقامات التي كانت للزهراء كانت تتعامل مع الناس بكل تواضع وسهوله ومن دون تكلف أو تكبر مع

(١) الميزان في تفسير القران للطباطبائي في . ج٢٠ ص٢٣١

الآخريـن وهذا مقام رفيع يضـاف إلى باقي مقامات الزهراء عليها السلام، ونختم بحثنا بهذه الرواية الشريفة عن (سهل بن احمد الدينوري بإسـناده عن الصادق عليه السلام قال : قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فـداك يا ابن رسـول الله حدثني بحديث في فضـل جدتك فاطمة إذا أنا حدثت به الشـيعة فرحوا بذلك قال أبو جعفر عليه السلام حدثني أبـي عـن جـدي عن رسـول الله صلى الله عليه وآله قـال : إذا كان يـوم القيامة ... فيقـول الله تعالى يا أهل ا لجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة يا أهل ا لجمع طأطؤوا الرؤوس وغضوا الأبصار فان هذه فاطمة تسـير الى ا لجنـة فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق ا لجنة وا لجنبين خطامها من اللؤلؤ الرطب عليها رحل؟ مـن المرجـان فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث الله مائة ألف ملك ليسـيروا عـن يمينهـا ويبعـث إليها مائـة ألف ملك ليسـيروا عن يسـارها ويبعـث إليها مائة ألف ملـك يحملونها علـى أجنحتهم حتـى يصيروها على باب ا لجنة فإذا صارت عند باب ا لجنة تلتفت فيقـول الله : يا بنـت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي فتقول يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم فيقول الله يـا بنت حبيبي ارجعي فانظري مـن كان في قلبه حب لك أو لأحد مـن ذريتـك خذي بيـده فأدخليه ا لجنة قال أبـو جعفر عليه السلام: والله يـا جابـر أنها ذلك اليـوم لتلتقط شـيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب ا لجيد من الحب الرديء فإذا صار شـيعتها معها عند بـاب ا لجنة يلقـي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا يقول الله : يـا أحبائي ما التفاتكم وقد شـفعت فيكـم فاطمة بنت حبيبي ؟

فيقولون يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم فيقول الله : يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة : انظروا من أطعمكم لحب فاطمة : انظروا من كساكم لحب فاطمة انظروا من سقاكم شربة ماء في حب فاطمة انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وادخلوه ا لجنة قال أبو جعفر عليه السلام والله لا يبقى في الناس ألا شاك أو كافر أو منافق ....)[1].

روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة و عليها حُلّة الكرامة قد عجنت بماء الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها» و يضيف صلى الله عليه وآله في آخر الحديث: «فتزف إلى ا لجنة كالعروس لها سبعون ألف جارية»[2].

كما تروي عائشة حديثاً آخر عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يا معشر الخلائق طأطؤوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمّد»[3].

فيا أيتها السيدة الصديقة المطهرة التقطينا يوم لا ينفع مال ولا بنون فها نحن محبوك وموالوك ومبغضو أعدائك من الأوّلين والآخرين انه سميع الدعاء..

والحمد لله رب العالمين والصلاة على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها ورحمة الله وبركاته.

---

(١) بحار الانوار ج٨ ص٣٥

(٢) ذخائر العقبى، ص٨٤.

(٣) تاريخ بغداد، ج٨، ص١٤١.

الفهرس

المقدمة ٣

توطئة ٥

الزهـراء عليها السلام هي الصديقة الكبرى ٨

فاطمة عليها السلام مطهرة من الرجس ١١

فاطمة عليها السلام المحدثة ١٤

فاطمة عليها السلام المصطفاة ١٥

الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين ١٩

في معنى أنها سـيدة نساء العالمين ٢٤

هـل أن الزهـراء عليها السلام تملـك الفضائـل والكمـالات عنـد الرجال أم لا ؟ ٢٥

معنى أن الزهراء عليها السلام محدثة ٢٧

مصحف فاطمة عليها السلام ٢٨

لماذا كانت الزهراء عليها السلام فقط مَن تسمع حديث الملائكة؟ ٣٠

الخاتمة ٣٢

الفهرس ٣٥

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

زورونا www.aljawadain.org

راسلونا fikriya@aljawadain.org